ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 16 - فضل الدعاء**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فلا يزال الحديث عن فضل الدعاء في ضوء ما ورد في السنة النبوية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قالَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّـهِ مِنَ الدُّعَاءِ**» رواه الترمذي وابن ماجه.

في هذا بيان عظيم شأن الدعاء، وعلو مكانته، وأنه كريمٌ على الله وحبيبٌ إليه سبحانه، وليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء، وفيه محبة الله للدعاء ولعباده الدّاعين، وفيه أن الدعاء مستجاب لا يرد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : : «والكريم الرحيم إذا سئل شيئا بعينه وعلم أنه لا يصلح للعبد إعطاؤه أعطاه نظيره ،كما يصنع الوالد بولده إذا طلب منه ما ليس له فإنه يعطيه من ماله نظيره -ولله المثل الأعلى- وكما فعل النبي عليه الصلاة والسلام لما طلبت منه طائفة من بني عمه أن يوليهم ولاية لا تصلح لهم؛ فأعطاهم من الخمس ما أغناهم عن ذلك وزوجهم كما فعل بالفضل بن عباس وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقد روي في الحديث ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّـهِ مِنَ الدُّعَاءِ)) وهذا حق» . ا ه : .

وَعَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله : **((مَنْ لَـمْ يَدْعُ اللهَ سُبْحَانَهُ غَضِبَ عَلَيْهِ))** رواه الترمذي وابن ماجه واللفظ له.

أي: أن الله يغضب ممن يُعرض عن سؤاله ويرغب عن دعائه سبحانه. ومفهوم المخالفة لذلك: أن الله يحب من يدعوه؛ إذا كان يغضب ممن يترك دعائه فهو يُحب من يدعوه ويقبِل عليه بالدعاء، وكلما عَظُم إلحاح العبد على الله بالدعاء والسؤال عَظُم حُب الله له، فهو يحب عباده الملحّين عليه بالدعاء، يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنيُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

ابنُ آدم إذا أُلحّ عليه بالسؤال غضب ممن يسأله، بينما رب العالمين جل وعلا يُحب إلحاح الملحّين، ويحب تضرع المتضرعين المكثرين من السؤال والدعاء ، بل إنه أمر بذلك ، قال جل وعلا: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً}[الأعراف:55]؛ لأن الدعاء هيئة ذُل وافتقار يُحبها الله، ويُحب من عبده أن يفتقر إليه، ويتذلل بين يديه، وأن يسأله حاجته كُلها الدينية والدنيوية والأخروية؛ لأنها كلها بيده، وفي الدعاء **«**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي**»**؛ فصلاح الدين والدنيا والآخرة كله بيد الله. قال الأوزاعي :: «كان يُقال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وفي الحديث أيضا دليل على أنَّ الدعاءَ من العبد لربِّه من أهمِّ الواجبات وأعظمِ المفروضات؛ لأنَّ تجنُّبَ ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبِه، وقد تقدم قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر:60]، وهو يدلُّ على أنَّ تركَ العبدِ دعاءَ ربِّه يُعدُّ من الاستكبار، وتجنُّبُ ذلك لا شكَّ في وجوبه.

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَـى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ فَـيَـقُولُ: مَنْ يُدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَـهُ؟ مَنْ يَسْأَ لُنِـي فَـأُعْطِـيَـهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»** رواه البخاري ومسلم .

هذا الحديث -حديث النزول الإلهي- حديثٌ عظيم في بيان وقتٍ شريف للدعاء، وأن الدعاء فيه مستجاب وأرجى من غيره، وهو الثلث الأخير من الليل ، قال الله تعالى: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}[آل عمران:17] وقال جل وعلا: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الذاريات:18] ، ويكفي شرفًا لهذا الوقت ومكانةً له؛ أن رب العالمين ينزل فيه -كما أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام- نزولًا يليق بجلاله وكماله إلى السماء الدنيا. ولهذا جاء في بعض روايات الحديث: ((لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري))، ويقول جل وعلا: **«**من يدعوني؟ من يسألني؟ من يستغفرني؟**»؛** يقول ذلك في هذا الوقت كل ليلة، فهو أحرى أوقات إجابة الدعاء.

فالحديثُ دليلٌ على فضلِ هذا الوقتِ المباركِ، وأنَّه أفضلُ أوقات الدعاء والاستغفار والإقبال على الله بالسؤال، وأنَّ الدعاءَ في هذا الوقت مستجابٌ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية :: «والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجُّه والتقرُّب والرِّقةِ ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسبٌ لنزوله إلى سماء الدنيا، وقوله: هل من داعٍ، هل من سائل، هل من تائب» اهـ كلامُه رحمه الله.

**ومِمَّا ورد أيضاً في فضل الدعاء**: ما رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً، والطبراني في الأوسط عنه، عن النبي مرفوعاً قال: ((**أعجزُ الناس مَن عجز عن الدعاء، وأبْخلُ الناس مَن بخل بالسلام**)) ؛ فالدعاءُ أمرُه يسيرٌ جدًّا على كلِّ أحدٍ، فهو لا يتطلَّب جهداً عند القيام به، ولا يلحق الداعي بسببه تعبٌ ولا مشقَّةٌ؛ ولهذا فإنَّ العجزَ عنه والتواني في أدائه هو أشدُّ العَجز، وحَرِيٌّ بِمَن عجز عنه مع يُسرِه وسهولته أن يعجز عن غيره، ولا يَعجزُ عن الدعاء إلاَّ دنيُّ الهمَّةِ ضعيفُ الإيمان.

**ومِمَّا جاء في فضل الدعاء**: ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عن ثوبان أنَّ النبي قال: ((لا يردُّ القدرَ إلاَّ الدعاءُ)) ؛ فهذا فيه دليل على أنَّ الله سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد ورد في هذا المعنى أحاديثُ عديدة، وحاصل معناها: أنَّ الدعاءَ مِن قَدَرِ الله ؛ إذ إنَّه سبحانه قد يقضي بالأمر على عبدِه قضاءً مقيَّدًا بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه. وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الدعاءَ من أعظم الأسباب التي تُنال بها سعادة الدنيا والآخرة، خلافاً لمن يعتقد أنَّ الدعاءَ لا تأثيرَ له في حصول مطلوبٍ ولا دفع مرهوبٍ، وإنَّما هو مجرَّدُ عبادةٍ محضةٍ، وأنَّ ما حصل به يحصل بدونه، ولا يقول هذا مَن عَرَفَ قدرَ الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : : «ولهذا أُمر الناسُ بالدعاءِ والاستعانَةِ وغيرِ ذلك مِن الأسباب، ومَن قال: "أنا لا أدعو ولا أسألُ" اتِّكالاً على القَدَرِ كان مخطئاً؛ لأنَّ اللهَ جعلَ الدعاءَ والسؤالَ من الأسباب التي ينال بها مغفرتُه ورحمتُه وهداه ونصرُه ورزقُه، وإذا قدَّر للعبد خيراً يناله بالدعاءِ لَم يَحصل بدون الدعاء، وما قدَّر اللهُ وعَلِمَه من أحوالِ العباد وعواقبِهم فإنَّما قدَّره الله بأسبابٍ يسوقُ المقاديرَ إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلاَّ بسبب، والله خالقُ الأسباب والمسبَّبَات» اهـ.

إنَّ حاجةَ المسلم إلى الدعاء ماسَّةٌ في أموره كلِّها، وضرورتَه إليه ملحَّةٌ في شؤونه جميعِها، وقد ضَرَبَ أَحدُ أهل العلم لِحال المسلم مع الدعاء مَثلاً بديعًا تستبين به شدَّةُ حاجته إليه، ويظهرُ به عظمُ ضرورته إليه؛ روى الإمام أحمد في كتابه الزهد عن قتادة قال: قال مُوَرِّقٌ :: «ما وجدتُ للمؤمن مثلاً إلاَّ رجلاً في البحر على خشبة، فهو يدعو يا ربِّ يا ربِّ، لعل الله أن ينجِّيَه».

**ومما ورد في فضل الدعاء** : ما رواه مسلم عَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُو،ا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَاديى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ**)).

وفي الحديث دلالةٌ على أنَّ اللهَ يحبُّ أن يسأله العبادُ جميعَ مصالح دينهم ودنياهم؛ من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهدايةَ والمغفرةَ والتوفيقَ والإعانةَ على الطاعةِ ونحوَ ذلك، ووعدَهم سبحانه على ذلك كلِّه بالإجابة .

وفيه أيضاً دلالةٌ على كمال قدرةِ الله سبحانه وكمال ملكِه، وأنَّ ملكَه وخزائنَه لا تنفدُ ولا تنقصُ بالعطاء، ولو أعطى الأوَّلين والآخرين من الجنِّ والإنس جميعَ ما سألوه في مقامٍ واحد.

وفي ذلك حثٌّ على الإكثار من سؤاله وإنزال جميع الحوائجِ به، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال: ((يدُ الله ملأى لا تغيضُها نفقة -أي لا تُنقصها- سَحَّاءُ الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربُّكم منذ خلق السموات والأرض! فإنَّه لَم يَغِضْ ما في يمينه)) .

وتأمَّل قوله سبحانه في الحديث: ((**مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**))؛ فإنَّ فيه تحقيقاً بأنَّ ما عند الله لا ينقص البتة، كما قال تعالى: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ}[النحل:96] ، فإنَّ البحرَ إذا غُمس فيه إبرة ثمَّ أُخرجت لَم تُنقِص من البحر شيئاً، وكذلك لو فُرض أنَّ عصفوراً شرب منه فإنَّه لا يُنقص البحر شيئا، وهو سبحانه إذا أراد شيئاً من عطاءٍ أو عذاب أو غيرِ ذلك قال له: كن فيكون، كما قال سبحانه: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[يس:82] ، وقال سبحانه: {إَنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[النحل:40] ، فكيف يُتصوَّر فيمن هذا شأنُه أن ينقص ما عنده أو ينفد!!.

هذا وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما؛ إنه سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .